السليقة عند العرب المحدثين

عبد الله كنون
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

كان العرب الاولون يتكلمون اللغة العربية بالسليقة أى بالمران والتعود من غير تلقين ولا تعليم كما نتكلم نحن العامية اليوم . فيقيمون بها ألسنتهم وتنشأ عندهم ملكة التعبير عن الاغراض المختلفة بكلام عربي مبين ، الى أن جاء الاسلام وانتشرت دعوته فى الاقطار . فاختلطوا بغيرهم من الامم والشعوب الاعجمية ، أى التى ليست بعربية فسرت العجمة الى لسانهم وظهر فيهم من يلتوى كلامه فيفهم غير ما يقصد كما حكوا عن ابنة أبى الاسود الدؤلى التى أرادت ان تتعجب من شدة الحر فنقلت صيغة التعجب الى الاستفهام بمجرد اختلاف نطقها فى حركة الدال من الفتح الى الضم فى جملة ما أشد الحر .

ولا تعنى السليقة ، ومعناها الطبيعة ، مجرد الاعراب ومراعاة قواعده عند الكلام فحسب ، وان كان الشاعر قد قال :

ولست بنحوى يلوك لسانه   ولكن سليقى أقول فاعرب

ولكنها تعنى ايضا التصرف فى وجوه الكلام بالاشتقاق والتعريب والقياس على ما وضعته العرب وتكلمت به من صيغ وأساليب حتى ما يتعلق منها بالبلاغة ومطابقة الكلام لمقتضى الحال .

وهذا القدر هو الذى يهمنا فى هذا البحث ، فاننا لا ندعى أن ملكة الاعراب مما أمكن الاحتفاظ به أو استمرت مراعاته كلا أو بعضا بعد الصدر الاول الذى ظهرت فيه العجمة وشاع اللحن واضطر العرب الى وضع علم النحو للمحافظة على سلامة لغتهم واستقامة ألسنتهم بخلاف الامر الثانى الذى نتلمس بقاياه فى لغتنا العامية ولهجاتنا المختلفة ، والذى تسلسل عبر العصور وما يزال أثره محسوسا فيما نستحدثه من ألفاظ أو نقيسه من عبارات على ما رسخ فى نفوسنا وانطبع فى أذهاننا من رصيد لغوى ذى قواعد وأصول عربية لا جدال فيها ترجع تارة الى اصل الوضع وأخرى الى قاعدة الاشتقاق والتعريب وما كان من ذلك بسبيل .

فهذه اثارة من السليقة العربية لا تزال عند العرب المحدثين يتوارثونها خلفا عن سلف وجيلا عن جيل . يتصرفون بها فى لغتهم فيمدونها بما تحتاج اليه من كلمات معبرة وأسماء لمسميات جديدة فى دائرة معرفتهم الضيقة وعلى صعيد مدركاتهم الحسية والمعنوية المحدود . ولذلك نرى أن اللغة العامية ما فتئت تنمو وتزدهر الى جانب اللغة الفصحى ، وانها لم تقف قط عاجزة عن تسمية الادوات الجديدة ووضع المصطلحات الضرورية لمستحدثات الحضارة . فى حين كانت الفصحى منكمشة بانكماش المسؤولين عنها ومنزوية عن مجابهة الحياة المتجددة بما يلزمها من أوضاع ومصطلحات عديدة فى غير ما علم وفن .

وبالضرورة لم يكن عمل السليقة يتجاوز الحدود المرسومة للاجيال المتلاحقة التى انحصرت معارفها فى المظاهر الحضارية والوسائل المهنية مما قضت عليهم الحاجة الملحة باصطناعه ومزاولته ، كما انه لم يكن مصيبا دائما ولا موافقا للقواعد والقياس . وعلة ذلك

ظاهرة . فان الحس اللغوى عند العامة لم يكن من القوة بحيث يتجنب الخطأ ويحتمى من الزلل . وقد اصطلحت عليه العوامل المختلفة من غلبة العجمة وهبوط المستوى الثقافى وانتشار الامية وسوى ذلــك . فلا ينتظر أن يكون اقوى مما هو عليه . والسليقة مهما قويت وسلمت من العلل فلا بد لها من شذوذ وتعثر ، فان العــرب العرباء أنفسهم قد خالفوا القياس وارتكبوا الشذوذ ، وهم وضعة اللغة وممهدوا سبيلها للناس . فكيــف بالعامة بعد عصور وأجيال من تراجــع اللغة ونضوب معينها .

ولكن ان اخطأ العرب الاولون أو خالفوا القياس فى كلمات معدودة . فان العرب المحدثين بالعكس من ذلك قد أخطأوا كثيرا ولم يصيبوا الا قليلا . ونحن هنا فى هذه الكلمة سنوجه عنايتنا الى ما أصابوا فيه وأتوا به مطابقا للاصول من غير أن يكون مرجعهم فى ذلك نحوا ولا صرفا ولا استقراء لقاعدة من قواعد العلم ، وانمــا هو بقية من السليقة العربية ونزوع العرق بالقــوم الى أصلهم الاصيل . كما يحدث أن تظهر بعض العلامات فى المواليد الانسانية مما يرجع الى الخلق او الشكــل أو اللون الذى كان عليه أجدادهم السابقون بعامــل الوراثة الذى أصبح قانونا علميا مسلما به من الجميع .

وقضية ذلك أننا نعتبر الكلمة التى من هذا القبيل عربية أصيلة يجب أن تأخذ طريقها الى المعجــم العربى من غير توقف لتوفرها على المطلوب من موافقة القياس اللغوى وجريانها على ألسنة العموم بحكم أن واضعها قدر الحاجة الماسة اليها وسد بها فراغا كان الجميــع يشعر به . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان ذلــك يدل على أن السليقة العربية لم تمت ، وانها بقليل من المعالجة التى لا تعدو تعميم التعليم ، وتبسيط قــواعد اللغة ، ستنبعث من جديد .. والفعالية التى كانت لها فى امداد العامية وارفــادها بالاوضاع والمصطلحات الضرورية للتعبير صوابا أو خطأ ، ستتحول الى تطوير الفصحى واغنائها بما هى فى حاجة اليه من ذلك مــع سلوك نهج الصواب فى الغالب الاعم كما كــان عليه الحال يوم كانت السليقة العربية بأتمها لا تشكو ضعفا ولا انحلالا . وغنى عن البيان اننــا سنعطى أمثلة ولا نستقصى . لان غرضنا الاول هو اثبات بقاء السليقــة العربية وعملها ولــو فى نطــاق محــدود لا الاحصاء والاستقراء . ثم اننا قد نضرب المثــل من العاميــة المغربية ، وليس مقصودنا تمييزها بشىء بل مجــرد الكلام عما نعرفه ، مع ما فى ذلــك من الدلالة على أن السليقة هى هى فى كل مكان حله العرب من مشرق أو مغرب .

وهذه هى الامثلة نقدمها على حسب ما اتفق من غير مراعاة ترتيب ولا ملاحظة تصنيف ، حيــث ان نتيجة البحث تستخلص منها مجتمعة من غير تفريق .

الفنــــان

أطلقه العرب الاولون على الحمار الوحشى لتفننــه فى العدو . ولكن هذا الاطــلاق قد توحش مع حمار الوحش فلم يستعمل من عهد الاعشى ومن اليه مــن الشعراء المتقدمين . وجاء العرب المحدثون فأطلقوه على الشخص الموهوب بهبة فنية من شعــر أو تمثيل او موسيقى ، وسار بهذا المعنى كل مسار . وقد توقــف فيه كثير من الباحثين اللغويين أولا لانه لم يرد عــن العرب الا بالمعنى السابق ، ورأينا كثيرا مــن الكتاب والادباء المحافظين يتجنبونه فى تعبيرهم ، فمنهــم من يقول فنى ومنهم مــن يقول مفن . ولكــن كثرة الاستعمال فرضته على الجميع ، لا سيما وهو مخرج على القواعد العربية أصح تخريج فقد جعله المعجــم الوسيط صيغة مبالغة من الفن ، ويمكن أن يكون مــن قبيل النسبة كالحداد والبناء والعطار ونحوها . ولا يخفى أن وزنه أكثر دورانا على الآلسنة من فنى ومفن ، فضلا عن تخصيص فنى بالخبيــر فى صناعة أو علم ، ولذلك تقبله الجمهور قبولا حسنا ولم يبغ به بديلا . وقد أحسنت لجنة المعجــم الوسيط أيمــا احسان بادخاله للمعجم وعدم وضع أية علامة بازائه مما يــدل على توليده أو حدوثه لانه لفظ عربى أصيل .

القديس

هو مما بحث عنه فلم يوجد . والظــاهر أن نصارى العرب هم الذين وضعوه ، لانه عندهم بمنزلة الولى عند المسلمين . وهو مأخــوذ من القــدس بمعنى الطهــر والنزاهة . وقد ورد هذا الوزن فى اللغة اسما وصفــة

للدلالة على الكثرة . فالاسم مثل هجير أى دأب وعريس لموضع الاسد وبرنيق لضرب من الكمأة ، وفى المعربات سجيل ومريخ وقسيس . والصفة مثل الصديق والسكيت والشرير وهى فيه اكثر من الاسم . وعلى كل حال فالقديس لفظة محدثة ، وهى لا شك مقيسة على ما ورد من هذا الوزن . وانما يبقى النظر فى صحة هذا القياس . فابن دريد يقول فى الجمهرة بعد سرده لكثير من مثل هذه الالفاظ كما نقل عنه السيوطى فى المزهر : «أعلم انه ليس لمولد أن يبنى فعيلا الا ما بنته العرب وتكلمت به ، ولو أجيز ذلك لقلب اكثر الكلام فلا تلتفت الى ما جاء على فعيل مما لم تسمعه الا أن يجيء فيه شعر فصيح» . ولكن المجمع الموقر ما أظنه يمانع فى جواز القياس على هذا الوزن ، وقد أثبتت لجنة المعجم الوسيط كلمة القديس فى المعجم بدون علامة مطلقا .

مزيان

صيغة مبالغة من الزين مثل مفضال ومعطاء ومنحار، وهو يكثر فى لسان أهل المغرب بمعنى حسن وجيد . ونرى كثيرا من اخواننا المشارقة يستغربه لاول ما يسمعه وهو كما رأينا لا غرابة فيه ، واشتقاقه صحيح . وقد دخل الى اللغة الاسبانية بحكم المخالطة ، فكثيرا ما نسمعه من الاسبانيين الذين قطنوا المغرب وهم ينطقونه بنبرتهم (مسيانو) والغرض من اثباته هنا هو التنبيه على عمل السليقة ، اذ كان هذا اللفظ من كلام العامة . وما زلت أذكر أحد رفقاء الطلب (I) ، وكان يتعاطى الادب ، حين نظم قصيدة فى مدح بعض الرؤساء وتوقف فى قافية بيت من ابياتها فقال لى ما قولك فى كلمة شبيهة بالاسبانية وهى مزيان ؟ والبيت هو هذا :

واجعل قبولك مهرها وكفاءها
ان القبول من الرضى مزيان

فضحكت وضحك ثم عدل الى قوله :

ان القبول على الرضى عنوان

ولم نكن حينئذ بمثابة من ينظر فى وجه اشتقاق الكلمة ومأخذها .

الكسكاس

لم تقف السليقة عند العرب المحدثين على العمل فى دائرة القواعد والقياس على المأثور من كلام العرب الاولين ، بل تخطت الحدود وارتجلت كما كان هؤلاء يرتجلون فى الزمن القديم . ومن ذلك هذا الوزن فى الآلة . فكما أن القدماء وضعوا أسماء للآلة على غير الاوزان المعروفة كسيف وقلم وسكين ، كذلك وضع المتاخرون اسم الكسكاس للآلة التى يطبخ فيها الكسكس وليس لها عندنا اسم غيره .

انهم عرب المغرب ، وهم الذين يعتنون بما لا يعتنى غيرهم بهذا اللون من الطعام . وعنهم عرفه الناس . وبما أن طريقة طبخه خاصة ، لانها فى الحقيقة تبخير لا طبخ ، فانها تحتاج الى هذه الآلة الخاصة وهى آنية تشبه المصفاة ذات ثقوب فى قعرها فتوضع على طنجرة غليانة وبداخلها الكسكس الذى يتبخر بفعل غليان الطنجرة ويكون ذلك هو طبخه .

لا شك أنهم رأوا البربر يفعلون ذلك ، وسمعوهم يسمون هذه الآلة تسكسوت فعدلوا عن هذا الاسم الذى يحمل طابع البربرية وقالوا الكسكاس الذى هو من الاوزان العربية المألوفة . وقد قال علماؤنا من قبل بهذا الوزن البركار تعريبا لآلة الرسم المعروفة ، كما وجد له نظير جديد فى الآلات الحديثة وهو التلفاز (ويخلق ما لا تعلمون) .

الثرار

لما يسمى بالفرنسية Cascade وهناك كلمة أخرى تدل عليه وهى الشلال ، وكلتاهما من عمل السليقة المحدثة ونظن أن الثرار ، وان لم تشتهر ، أوضح دلالة وأصح مأخذا فانها من ثر الماء ثرا وثرورا غزر وكثر . وأما الشلال فهى من شلت العين الدمع أرسلته . والمراد ليس المفاضلة بين الكلمتين ، ولكن الاشارة الى أن السليقة حينما تلح عليها الحاجة الى التعبير فانها تنطلق هنا وهناك ، وتنطق بالكلمة المطلوبة . ومن ثم يأتى الترادف فى اللغة ، فان الجماعات البشرية

(I) هو الاديب المرحوم محمد بودقة

المنتشرة فى الارض . ولو كانت من جنس واحد ، لا ينتظر بعضها بعضا لسد مفاقره وكفاية حاجه .

والامثلة من هذا القبيل كثيرة ولكننا لا نحرص على الاحصاء كما قلنا سابقا وانما نقرر بقاء السليقة وعملها .

الطيارة

والطيارة مثال لما توفقت فيه السليقة اكثر من توفق الخبرة . فان الاقلام المثقفة جرت على استعمال الطائرة ولا يكاد أحد يكتب الطيارة . وشركات الطيران والصحف فى اعلاناتها والاحصائيات الرسميه انما تعبر بالطائرات . وذلك وان يكن صحيحا الا ان احدا لا يمترى فى أن الطيارة التى تجرى على ألسنة الجماهير أقوى دلالة وأكثر تعبيرا . فانها تدل على الكثرة والمبالغة بصيغتها في حين أن الطائرة انما تدل على مجرد الوصف . وما أشبهها بالسيارة التى لم يقل فيها أحد السائرة ولو قالها لما سارت ، فهل الفرق بين السير والطيران فى الاعتياد والغرابة هو الذى جعل الادباء يقبلون فى الطائرة الوصف المجرد ولا يقبلون فى السيارة الا صفة المبالغة ؟

وأيا ما كان الامر فقد غلبت السليقة هنا الخبرة . ودل ذلك على وجودها وعلى قوتها الكامنة فى النفوس التي لا تحتاج الا الى قليل من العناية لتنقلب حسا لغويا فعالا .

وما احرانا أن نعامل هذه الكلمة وما كان على غرارها بما يعامل به السماع من التقديم على القياس . لا سيما وهى على ما بينا أكثر مطابقة لاعتبارات أحوال الاشتقاق ومقتضياته .

ألفاظ للحياة العامة

الميزانية . الاقتصاد . الجريدة . قلم التحرير . الجمعية . الادارة . المسرح . التمثيلية . المقهى . الملعب . العمارة . الشقة . الكشافة . الجواله . طابع البريد . الخريطة الجغرافية . الاستيناف . المحامى . الكلية . الجامعة . المتحف . هذه وغيرها مما يعد بالمئات من الفاظ الحياة العامة ، كلها من عمل السليقة عند العرب المحدثين ، وهى ما بين موضوع ابتداء للمعني الذى يدل عليه باشتقاق أو نسبة أو غير ذلك . ومما كان لفظا معلوما يدل على معنى عام فاشرب الدلالة على المعنى الجديد وحمل عليها حملا وسار على ألسنة العموم واستعمله الكتاب والشعراء والمؤلفون وأصبح من صميم متن اللغة الذى لا غنى عنه لاحد . ومما لا شك فيه أن هذه الالفاظ قد اشترك فى وضعها أشخاص بأعيانهم من صحفيين وتراجمة وعلماء وهيئات لغوية مخصوصة. ولكن الكثرة الكاثرة منها انما هذبه الذوق العام والاستعمال الواسع النطاق بحيث ما استقر فى وضع القبول حتى جاز امتحانا عسيرا وخلف وراءه الكثير مما لم يحصل على اجازة الجماهير له وهذا هو عمل السليقة. وهكذا كان الواضع العربي الاول يعمل ثم يتلقى الجمهور عمله بالقبول او الرفض .

مصادر شتى

وضعت مصادر عديدة منذ فجر النهضة العربية ، منها ما كان على طريقة المصدر الصناعى للدلالة على نظرية أو مذهب أو لمجرد التقوية كالفوضوية والاشتراكية والوصولية والانتهازية والفعالية والحساسية ، ومنها ما كان اشتقاقا من الاسم الجامد قبل ان يفكر أحد من المجمعيين فى ضرورة هذا الاشتقاق بل قبل أن يكون هناك اى مجمع عربى . فقد كثر الكلام عن تتريك العناصر الذى كان يراد به ادماج الاقوام المتساكنين فى البلاد العثمانية ومنهم العرب فى العنصر التركى وذلك فى مطلع القرن الحالى . ثم قيل على هذا النمط تمصير الادب فى مصر وسودنة الادارة فى السودان . ومغربة القضاء فى المغرب . وقيل ايضا التأقلم والتطور والاستغراب والاستشراق ، وهذه المصادر الاخيرة وضعت لها كذلك أفعال . وبعض هذه الاوضاع ما زال لم يخضع للبحث المجمعى ولا وضع تحت انظار حراس اللغة الخالدين . مما يؤيد رأينا فى السليقة وعملها الذى لم ينقطع قط وربما سبق عمل الخبرة ورب للتكثير .

أفعال من الاسم الجامد

قالوا تأقلم وتطور واستغرب واستشرق من الاقليم والطور والغرب والشرق بالمعانى المعروفة . وقالوا حج

وزار وخلل وقدس بمعنى زار الخليل والقدس بعد ما حج الى مكة المكرمة وزار المدينة المنورة . وكانهم لما قالوا حج وزار وحذفوا المفعول للعلم به هنا لان الحج لا يكون الا لمكة المكرمة والزيارة لا تكون الا للمدينة . شعروا بالحاجة الى ما يؤدى المراد من زيارة الخليل والقدس فاشتقوا الفعلين المذكورين من اسمى هذين المكانين لما فى ذلك من الاختصار وعدم اعادة فعل زار والاتيان بالخليل والقدس بعده ، وهذا من المقاصد البلاغية . ويقولون فى أحد الامثال المغربية : اذا خلجت عسلت يعنون أن الارض اذا صارت خلجانا من كثرة المطر أنبتت العسلوج بكثرة ، والمراد بالعسلوج هنا الكلأ ، والمثل من اقوال الفلاحين ، فاستحدثوا فعلا من الخليج وآخر من العسلوج . وأغرب من ذلك أنهم أخذوا فعلا من السفط وضمنوه معنى الارسال فقالوا سفطت له وسفط لى اى ارسلت له الشىء أو ارسله آلى ، ولا شك أنهم كانوا يقولونه فى الاول على الشىء المرسل فى سفط كالسلعة التى تستوجب الحفظ ثم توسعوا فيه بعد فاطلقوه على الارسال مطلقا . وانما نبهت على هذه الكلمة بعينها لغرابة توجيهها . وهى ترينا الى أى حد تتصرف السليقة عند العرب المحدثين .

وقالوا معنى على وهو يمعنى من المعنى اذا عرض له فى الكلام . وقالوا تلبأ الطبيخ وهو ملبق اذا خثر من اللبأ الذى هو اول اللبن ويكون خاثرا ، وقالوا قبر الشىء اذا أتلفه أو غاب عليه كأنه أدخله القبر وفى القرآن الكريم ثم أماته فاقبره ، ولكن هذه حقيقة وتلك مجاز . وقالوا البوجادى أخذا من مركب وهو أبو جاد الذى تنسب اليه حروف الهجاء المستعملة فى حساب الجمل وأرادوا به المبتدىء القليل العلم كأنه لا يزال فى مرحلة التعليم الاولى . وقالوا التصبين من الصابون وصبن ثيابه وهو صبان وأخيرا أطلقوا على محل التصبين مصبنة ، وهذا الباب طويل جدا فلنكتف منه بهذا القدر . وعلى كل حال فان السليقة لم تتوقف فيه توقف الخبرة وان كانت هى مثلما تشترط الخبرة لم تستعمله الا بمقدار .

الابدال والاتباع

كما أبدلت العرب قديما بعض الحروف من بعض فان العرب المحدثين فعلوا ذلك ايضا بسليقتهم فقالوا فلطة فى فلتة وغلبت على لسان عرب المغرب بمعنى الخطأ الشنيع ، وبعضهم يظن انها مأخوذة عن الاسبان وليس كذلك فان ابدال الطاء من التاء معروف فى اللغة العربية حتى ان العرب تقول فى المعنى الذى نحن بصدده غلط وغلت . وقالوا وذن فى أذن والهمزة اذا كانت فى الصدر وهى مكسورة أو مضمومة تبدل واوا . وقالوا الكحط فى القحط بل انهم لا ينطقونه الا بالكاف وهو وارد . والاتباع من سنن العرب فى كلامها يجعلونه تأكيدا واتباعا . ومنه عند العرب المحدثين قولهم جاء قبل الحين والصالحين زاوجوا بين الكلمتين ولاحظوا فى الثانية من غير شك ان الصالحين من أهل الزمن السابق فمن يجىء قبلهم يكون مجيئه قبل حينه . ومنه قولهم الجوع والنوع والبكا بلا دموع الكلمتان اللتان وقع فيهما الاتباع هما من قول العرب جائع نائع . ومنه قولهم السخط والنخط . النخط : المخاط الذى يسيل من الانف وهو ما يتمخط . ومنه قولهم الوسخ والمسخ والمناسبة المعنوية بينهما ظاهرة ، أما فى اللفظ فان الروى واحد واذا سكن السين من الوسخ كما ينطقون به يكون الوزن أيضا واحدا . ومنه قولهم فى الفعل خلط وجلط والتجليط بهذا المعنى غير معروف ولكنه شاع الآن واستعملت من مادته الجلطة الدموية فلعل له أصلا بقى محفوظا فى الالسنة ولم تثبته المعاجم . والامر هنا على كل حال اتباع فلا يشترط فيه أن يدل على تمام معنى الكلمة الاولى .

امثلة اخرى

ومن بقايا السليقة قولهم فى تصغير السوق والدار والقدر والاذن والعين والشمس وغيرها سويقة ودويرة وقديرة ووذينة وعوينة وشميسة على القاعدة المقررة من الحاق التاء بالثلاثى المؤنث عند التصغير ، وابدالهم الواو من الياء فى تصغير العين لعله لكراهتهم الجمع بين ياءين متتاليتين . واذا كنا نحن ما زلنا نتردد فى استعمال كلمة تقييم لمحا لاصلها الواوى فانهم بعكس ذلك يتصرفون كما تملى عليهم الحاجة والحس اللغوى

السليم . وأمثلة هذا الباب كثيرة ، وانما ذكرنا منها ما يلفت اليه النظر .

نكتة بلاغية

قد يكون فى استعمال ضمير الجماعة للمتكلم المفرد ما يشعر بالتواضع خلاف المعهود من أنه يكون لتعظيم النفس . وذلك كما فى قول القائل مثلا : ونحن لا نرى هذا الرأى ، ألا ترى ما فى قوله لو أفرد : وانا لا ارى هذا الرأى من الدعوى التى هى سبيل التعاظم ؟ . وهنا ما جرت عليه أساليب العرب المحدثين فيقولون مثلا تجيء عندنا ونزورك فتكون مقبولة أكثر من تجيء عندى وأزورك كانهم يستشعرون أن المتكلم لما اعتضد بغيره برىء من الانانية وأن توجيه الدعوة الى المخاطب باسم جماعة أبلغ فى الاهتمام به . وهكذا ينعكس بهذه الملاحظة ما قرر من أن المعظم نفسه هو الذى يستعمل ضمير الجماعة المتكلمين . وهى نكتة بلاغية ناخذها من تتبع الاساليب الكلامية عند العرب المحدثين ونستدل بها على أثارة من سليقة عربية مصقولة لا تزال تبدع وتجيد . على أننا اذا أمعنا النظر فى أساليب الكلام الفصيح وتنوعها سواء فى الكتابة او الخطابة نجد أن هذا المعنى ملحوظ عند البلغاء ، فكثيرا ما نجدهم يعبرون تارة بضمير الافراد وتارة بضمير الجمع كمايقتضيه موضع التعبير فى الجملة من الاتيان بهذا الضمير أو ذاك ، ولكن لم يقع النص صراحة على هذا القدر ، بل ترك لادراك الذوق السليم .

ومن المعلوم اننا اليوم كثيرا ما نستعمل ضمير الجمع فى الخطاب تعظيما للمخاطب وهو أدب جديد دخل على لغة الحوار ولم يكن العرب يستعملونه قبل الا قليلا حتى انه لم يجىء فى القرآن الا مرة واحدة وذلك فى قوله تعالى (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون) ومع ملاحظة هذا الادب فان النكتة التى نبهنا عليها لم تضعف بل بقيت مرعيةفيه فيقال تجيئون عندنا ونزوركم ، ولا يكون فى ذلك تعاظم من المتكلم بل تعظيم للمخاطب .

هذا عمل السليقة وأثرها فى لساننا العربى المبين حتى بعد أن ضعفت الملكات وسادت العجمة . واذا كنا قد جلينا بعض مظاهر الحس اللغوى أو ما بقى من السليقة عند العرب المحدثين . فى هذه الكلمة المختصرة فاننا نشعر أن الموضوع قابل للتوسع ، وان التوفر على استيعابه يفضى الى نتائج مهمة فيما نرمى اليه من اعادة الاعتبار الى بعض الكلمات التى كانت من وضع العامة لا سيما ما وافق القياس منها فنفسح لها الطريق الى معاجمنا ونضع بذلك حدا لهذه الجفوة الحاصلة بين العامية والفصحى ، تحسينا للظن بهذا الشعب العربى النبيل الذى ما زال يحتفظ بكثير من خصائص أجداده الكرام وما لغته العامية هذه الا بنت للفصحى يجب تعهدها بالتهذيب والتنقيح لتقرب من مستوى الفصاحة وتلحق بنسب أمها الرؤوم . ونحن مهما وثقنا به واعتمدنا على عروبته فى الاخذ بما صح من كلامه فانما نرجع اليه حيويته ونقوى معنويته ونجعله ينطلق الى الغايات البعيدة فى أعمال البعث والتجديد فى هذا الميدان وفى جميع ميادين الحياة الاخرى . وما ذلك على همته العالية بعزيز .

عبد الله كنون